بالهلاك بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ونحوه من الدعاء من قبل
اي من قبل لوط ومن تقدمه فاستجبنا اي اردنا الاجابة واوجدناها بفطننا
له في ذلك الدعاء سبب عن ذلك قوله تعالى فنجيناه واهله اي الذين دام
ثباتهم على الايمان وهم من كان معه في السفينة من الكرب العظيم اي من اذى قومه
ومن الغرق والكرب الغم الشديد وقال السدي وقال ابو حيان الكرب
اقصى الغم والاخذ بالنفس وهو هنا الغرق عبر عنه باول احواله اخذا الغرق
ونصرناه اي منعناه من القوم اي المتصفين بالقوة الذين كذبوا باياتنا من
ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء اي لا عمل لهم
الا ما يسوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك
في الشر لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله تعالى القصة الخامسة
قصة داود وسليمان عليهما السلام المذكورة
في قوله تعالى وداود وسليمان ابنه اي اذكرهما واذكر شانهما اذ اي حين يحكمان
في الحرث الذي انبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب على المسبب كالسما
على المطر والنبت قال ابن عباس واكثر المفسرين كان ذلك كرما قد
تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا قال ابن الحارث وهو اشبه بالعرف
اذ نفشت اي انتشرت ليلا بغير راع فيه غنم القوم فرعته قال
قتادة النفش في الليل والهمل في النهار وكنا لحكمهم اي الحكمين والمتحاكمين
اليهما شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرامنا لا يخفى علينا علمه وقال
الفراء جمع اثنين فقال لحكمهم ويريد داود وسليمان لان الاثنين جمع وهو
مثل قوله تعالى فان كان له اخوة فلامه السدس وهو يريد اخوين قال ابن
عباس وقتادة وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب
حرث والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا
فوقعت في حرثي فافسدته فلم يبق منه شيا فاعطاه داود رقاب الغنم
بالحرث فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة عليه السلام فقال
كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة لو وليت
امرهما لقضيت بغير هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك
داود فدعاه فقال كيف تقضي ويروى انه قال بحق النبوة والابوة الا ما
اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع
بدرها ونسلها وصوفها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه
فاذا صار الحرث كهيئته دفع الى اهله واخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود
القضاء ما قضيت كما قال تعالى ففهمناها اي الحكومة سليمان اي علمناه
القضية والهمناها له تنبيه يجوز ان تكون حكومتهما بوحي الا ان حكومة
داود نسخت بحكومة سليمان ويجوز ان تكون باجتهاد الا ان اجتهاد

سليمان

سليمان اشبه بالصواب فان قيل ما وجه كل واحد من الحكومتين اجيب بان
وجه حكومة داود ان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال
ابو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي
يبيعه في ذلك او يفدي به ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه
حكومة سليمان انه جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير
ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى
يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا
وابق من يده انه يضمن بالقيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب
من منافع العبد فاذا ظهر ترادا فان قيل لو وقعت هذه الواقعة في شريعتنا
ما حكمها اجيب بان ابا حنيفة واصحابه لا يرون فيها ضمانا بالليل او بالنهار
الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد لقوله صلى الله عليه وسلم جرح العجما
جبار اي هدر رواه الشيخان وغيرهما والشافعي واصحابه يوجبون الضمان
بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم
لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار
وعلى اهل الماشية حفظها بالليل ولما كان ذلك ربما اوهم شيئا في امر داود
نفاه بقوله تعالى وكلا منهما اتينا حكما اي نبوة وعملا مؤسسا على حكمة
العلم وعلما مؤيدا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الاية لرايت القضاة قد
هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعذر داود عليه
السلام باجتهاده انتهى وهذا على الراي الثاني وعليه اكثر المفسرين وعن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر
وهل لكل مجتهد مصيب او المصيب واحد لا بعينه رايان اظهرهما الثاني
وان كان مخالفا لمفهوم الاية اذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم
في الحديث معنى وقوله صلى الله عليه وسلم واذا حكم فاجتهد فاخطا فله
اجر لم يرد به انه يوجر على الخطا بل يوجر على اجتهاده في طلب الحق لان
اجتهاده عبادة والاثم في الخطا عنه موضوع فائدة من احكام داود
وسليمان عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كانت امراتان معهما ابناهما فجاء الذيب فذهب بابن احداهما
فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى
داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين
اشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في
الصحيحين ثم انه تعالى ذكر لداود وسليمان بعض معجزات فمن بعض معجزاته الاول
ما ذكره بقوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن مع صلابتها وعظمها